دعوتنا إلى يافع.. مشاهدات ووقائع

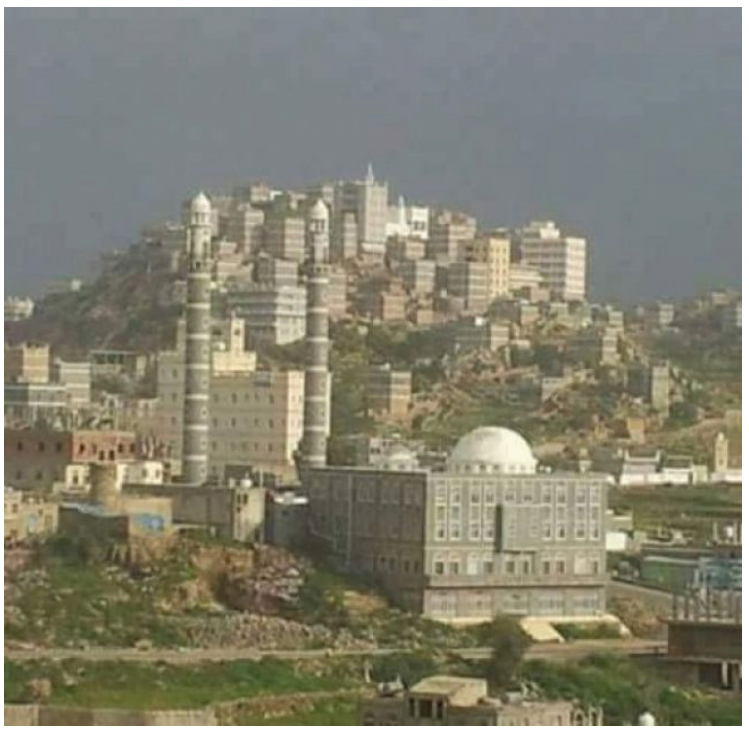

"الأمناء" كتب / محمد الشاذلي:

كان خروجنا الدعوي من دار الحديث بالفيوش صباح خميس جمادَى الأولى ١٤٤١/٥/١٢ منتصف يناير٢٠٢٠م برفقة الشيخ صالح العشامي، والشيخ صديق الشميري، والشيخ صالح علي الحدي، والشيخ ياسر الحطيبي، وعدد من طلاب العلم وبقيادة أمير الرحلة الأخ أحمد الداعي، تحركنا بثلاث مركبات وكانت وجهتنا الحد يافع، مبتدئين يومنا بالأذكار ودعاء السفر، وتخلل الرحلة مناقشات وفوائد واستماع محاضرات تسجيلية وختمناها بالقرآن كعادة الخروج الدعوي المعروفة. ولله الحمد والشكر على توفيقنا لطاعته، سأتحدث هذه المرة ليس عن النشاط الدعوي في يافع والحد وإقبال الناس على الدعوة هناك وسبق أن ذُكر هذا، وتكلم مشايخنا فيه وآخرون، ولا أتكلم عن الكرم وحفاوة الاستقبال فقد تكلم إخوانٍ لنا عن ذلك، ولكني سأتكلم شيئًا لم يذكره أحد من إخواني في الله، وعمّا تخبئه تلك المنطقة يافع وجبالها وأوديتها، عن حضارة وتاريخ تلك المنطقة المنسية، رغم أن الأرض تتحدث عن نفسها بآثارها دون أن تتكلم.

ونحن نشق بسيرنا طريق وادي يهر وننظر من خلال زجاج السيارات، كأننا نشق عباب البحر بمركب يتموج في منعطفات يهر ووديها، وعلى جانبي الطريق جبال شاهقة ترحب بزائريها ومبان حميرية عتيقة كأنها تقول للناظر إليها: نحن هنا ومازلنا، وترتفع بنا الطريق نحو أعالي الجبال بسرعة كأنما تحملنا الموج وتدفعنا نحو سفوح الجبال. وصلنا القمة أمامنا لبعوس، تلوح لنا المفلحي، تستقبل أعيننا بني بكر، ويسلم علينا جبل الغُر الشهير، أرض خلابة وفن معماري رهيب كأنما نسجت بريشة فنان مبدع ومحترف؛ لا إله إلا الله، من منظر مهيب متناغم لامثيل له، وهواء عليل. وعلى رؤوس الجبال الشاهقة مبان وآثار وحصون، تريد أن تحكي حكاياتها، جميعها تدل على عظمة الإنسان اليافعي وشموخه كشموخ جباله، فهامته في السماء، وسمو نفسه تعانق السحاب. الجبال والحصون والقلاع..إلخ كحصن خلاقة مثلا والموسطة وجبل ثمر وجبل القارة واليزيدي..إلخ تشم منها عبق التاريخ والأرض تتكلم أن التاريخ مرَّ من هنا فالبلاد اليافعية لها صولات وجولات تذكرها بطون الكتب ويخلدها التاريخ للتاريخ.

حينها تذكرت قول النسابة أبو الحسن الهمداني (القرن الرابع) وهو ينسب يافع الى ذورعين الحميرية ويقول: انتشرت بطون ذورعين اليافعية إلى مناطق كثيرة في جنوب الجزيرة، وقيل جنوب اليمن، كقبائل الذراحن وآذان وبنوقاصد وبنوشعيب وكلد وغيرهم، وكانوا من أشرس القبائل العربية. ولا غرابة فقد عاشت حضارات الدول القديمة والممالك على رؤوس الجبال وكان لجبال يافع أرضاً وإنساناً نصيب الأسد في تكوين تلك الحضارات والدول على امتداد أرضه وجباله. حتى امتدت شمالا وصولا إلى يريم وجبن وإب ولا ننسى شعب يافع إحدى مديريات إب والأسر اليافعية في تلك المناطق الشمالية حتى اليوم.

لا أتحدث هنا عن وجود الأُسر اليافعية الكثيرة في الضالع، فثلثي قبائل الضالع يافعية، ولا أتحدث عن الأسر اليافعية في ردفان فأغلب قبائل ردفان يافعية.

لكن أتحدث عن سرْ وجود الأسر اليافعية في المهرة وَفي مناطق من عُمان وحضرموت وحتى إب اليمنية وذمار ويريم وبلاد العود.. فهذا الجزء هو المهم من تاريخ يافع الدولة والقبيلة والتاريخ الذي سأتكلم فيه سطحيا وسريعا؛ وللتفصيل العودة لتاريخ الهمداني وتاريخ يافع المجيد، وغيرها من الكتب.

كانت يافع أرض حمير ثم كانت مقرًا لممالك مقسمة ثم كانت امتدادًا لمملكة حضرموت ثم مملكة سروحمير ثم تقلبت في الدول حتى الدولة اليافعية وهي آخر تاريخ يافع، ثم قسمت إلى سلطنتين عليا وسفلى. حتى عرفت اليوم بمديرية يافع مقسمة بين محافظتي لحج وأبين.

خاضت قبائل يافع (الدولة اليافعية) حروب كثيرة مع الدولة الزيدية الأولى والثانية. وأشدها في خطوط التماس ضلع يافع بما تعرف اليوم بلاد الشعيب وبلاد الشاعري في الضالع، حيث كانت تَجمُّع القبائل اليافعية فيها لتندفع بعدها في حروب طويلة ضد الدولة الزيدية وكانت الحروب بين مد وجزر وانتصار وهزيمة وبعد سقوط الدولة الزيدية الثانية تقدمت القبائل اليافعية داخل أراضي الزيدية في يريم وجبن وإب وبلاد العود واختلطوا مع سكان تلك الأرض وامتزجت معها، ولازالت الأسر اليافعية معروفة إلى وقتنا هذا. تواجد القبائل اليافعية الشرسة المجتمعة في ضلع يافع (الضالع والشعيب وبلاد الشاعري) والتي اشتهرت ببلاد الثوار لبسالتها في القتال وبمقاومة وصد كل غزو وكانت منطلق لكل الثورات.

وأما عن تواجد الأسر اليافعية في المهرة وحضرموت، ففي اليمن الجنوبي وبعد سقوط الممالك ظهرت آخر دولتين (دولة حضرموت الكبرى) وتضم المهرة والمكلا وسيئون وأجزاء من عُمان وأجزاء من الربع الخالي وشبوة وعاصمتها ميفعة شبوة. والأخرى(الدولة اليافعية) تبدأ حدودها من مكيراس ولودر والحد الشعيب والضالع وردفان وحواشب لحج.

وكانت أرض لحج وأبين قبل أن تنتقل إليها السلطنات مزارع وغابات كثيفة من الأشجار والمراعي وسلة الدولة اليافعية. أما عدن وما جاورها فكانت منطقة بركانية ملحية ليست ذات أهمية في تلك الفترة، بعد حروب الدولتين سقطت الدولة الحضرمية على يد الدولة اليافعية وحكمتها وانتقلت الأسر اليافعية للحكم وللتجارة في دولة حضرموتها وحكمها سلاطين وأمراء الدولة اليافعية وآخرهم سلطان حضرموت القعيطي.

إن الزائر ليافع اليوم وهو يحدق بعينيه حول أرضها وجبالها ومبانيها الحميرية المتميزة، وسهولها ومبانيها القديمة التاريخية وحصونها العتيقة يرى أن الأرض ليست هامدة بل تتكلم بصمت من خلال آثارها.. إنها هي نفسها يافع أرض حمير وهي نفسها مملكة حضرموت وهي نفسها الأرض التي عاصرت وصارعت الدولة الرسولية والصليحية وهي نفسها الدولة اليافعية الأم وهي نفسها يافع اليوم. وهي نفسها الجبال التي كانت تتجول عليها الملكة الحميرية الأسوانية (أخلة) حتى نزلت في خلة. وبنت لها قصَر بين شكع والشعيب - وسميت المنطقة باسمها وتعرف بالوقت الحالي بمنطقة خله إلى اليوم.

الزائر إلى يافع وجبالها وهو يرى موقعها الاستراتيجي المتميز والمحصن والذي ميزها عن غيرها من المناطق، يلحظ من الوهلة الأولى أن تاريخا وحضارة حلت هناك كانت تسود البلاد بطولها وعرضها انطلقت من يافع اليوم. وجبالها التي أول من تلامس أشعة الشمس؛ وتجاور السحاب وهي آخر من تعرف الغروب. وعليها بنيت أقوى الحضارات والأمم، إنها يافع الإنسان والقبيلة والتاريخ. زيارة مزجت فيها الدعوة إلى الله بالتاريخ والحضارة والحث على أن تكون يافع سباقة في حملة وتبليغ هذه الدعوة والذود عنها، كما عهدناهم، فلا غرابة فليافع تاريخ ناصع جلي، بل أنجبت مشايخ علم عظام يشار إليهم بالبنان، في خدمة هذا الدين و الدعوة إلى الله، فهي السباقة دائما في كل باب.

فلله الحمد والشكر كانت زيارتنا ل يافع الحد زيارة مباركة ودعوة طيبة موفقة، أنستنا مشقة السفر مع تنوع الكلمات بين محاضرات، وخطب جمعة ومواعظ أسأل الله أن يكتب لنا الأجر جميعا والإخلاص، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتنا وحسناتهم ،متكلمين ومستمعين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

مأساة إنسانية لشقيقين من عدن استشهدا في مأرب

الأمناء / خاص:

اضطُر عددٌ من شبان العاصمة عدن المنتسبين في ألوية الحكومة الشرعية إلى الذهاب إلى مأرب لمتابعة إجراء استلام مرتباتهم بعد أن ضاق بهم الحال وضاقت أسرهم من ضنك وقسوة العيش وارتفاع الأسعار وشحة فرص العمل التي فرضتها الحرب الدائرة في البلاد.

فحشروهم قاداتهم إلى أحد المعسكرات التدريبية الواقع في إطار محافظة مأرب التي تشهد نشاطا عسكريا منذ خمسة أعوام بصورة غير مدروسة توضح للجميع مدى الاستخفاف بدماء الأفراد.

ففي مساء الثامن عشر من يناير الجاري تلقى أحد المعسكرات بمنطقة الميل شمال غرب مدينة مأرب ضربة صاروخية حوثية استهدفت الجنود وهم يؤدون صلاة المغرب مما أدى إلى مقتل أكثر من مائة جندي وجرح ٨٠ آخرون, في حادثة أليمة هزت وجدان العالم وأدانها الصغير والكبير والمسلم والكافر.

وأغلب القتلى والجرحى في حادثة مسجد مأرب هم جنوبيون دفعتهم الحاجة واستضعاف قاداتهم وتهديدهم باستبدال غيرهم إلى الذهاب إلى مأرب, في الوقت الذي لا يعلمون بما كان قد كتبه الله لهم.

شباب في مقتبل العمر تحولوا في دقائق إلى جثث متفحمة صعب على بعضها تميز ملامحها, فكيف ستتلقى الأسر تلك الأنباء المشؤومة، وكيف سيكون حالهم بعد ذويهم الذين فقدوا في وقت هم بحاجة ماسة إليهم فلا نعلم مدى تقبل تلك الفاجعة، وكيف ستكون علة مسامع أمهاتهم وزوجاتهم وأطفالهم, يا لها من لحظات تحبس الأنفاس وانت تتلقى مكالمة هاتفية تخبرك أن أخاك أو ابنك أو قريبك ضمن تلك الضحايا!

وعلى ماذا فقدتهم؟ ولماذا؟ وكيف ستكون حياتك من بعدهم؟

ذهبوا أدراج السياسة الملعونة والحسابات الشخصية الضيقة وقدموا كلقمة سائغة للمليشيات الكهنوتية, فكلنا حزينون عليهم ولن ننساهم ولن نغفر لقاداتهم فعلتهم تلك.

الشابان زكي ووجيه فيصل من سكان المعلا ذهبا من عدن إلى مأرب لمتابعة استلام رواتبهم وودعا أباهم وأمهم وأخاهم الأصغر، وهذه هي أسرتهم, ذهبا على أمل العودة إليهم بالراتب ولكن عادوا جثثا هامدة.

فليس بمقدورنا إلا أن نرسل رسائل أخوية صادقة وإنسانية إلى كل المسؤولين عن الشباب الجنوبيين: خافوا الله.. هذه دماء أنتم مسؤولون أمام الله والمجتمع عليها, لن تغفر لكم عوائلهم ما حييوا.

إن دماء الجنوبيين في مختلف المواقع والمعسكرات في المحافظات الشمالية ستظل معلقة برقبة قاداتهم الطامعين وآكلي حقوقهم, لن يغفر لهم التاريخ على استخدام تلك الدماء في أي سياسة أو حسابات, وعلى الجميع الحفاظ على أبنائهم وعدم تقديمهم للموت.